@ 694 @ المرسلون) ^ من ا تعالى يأمرونهم بعبادة ا وحده ، وإخلاص الدين له ، وينهونهم عن الشرك والمعاصي . ^ (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) ^ أي : قويناهما بثالث ، فصاروا ثلاثة رسل ، اعتناء من ا بهم ، وإقامة للحجة ، بتوالي الرسل إليهم . ^ (فقالوا) ! 2 2 ! (إنا إليكم مرسلون) ^ فأجابوهم بالجواب ، الذي ما زال مشهورا عند من رد دعوة الرسل . ^ (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) ^ أي : فما الذي فضلكم علينا ، وخصكم من دوننا ؟ قالت الرسل لأممهم : ^ (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن ا يمن على من يشاء من عباده) ^ . ^ (وما أنزل الرحمن من شيء) ^ أي : أنكروا عموم الرسالة . ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم فقالوا : ^ (إن أنتم إلا تكذبون) ^ . فقال هؤلاء الرسل الثلاثة : ^ (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) ^ فلو كنا كاذبين ، لأظهر ا خزينا ، ولبادرنا بالعقوبة . ^ (وما علينا إلا البلاغ المبين) ^ أي : البلاغ المبين الذي يحصل به ، توضيح الأمور المطلوب بيانها . وما عدا هذا من آيات الاقتراح ، أو من سرعة العذاب ، فليس إلينا . وإنما وظيفتنا ، التي هي البلاغ المبين ، قمنا بها ، وبيناها لكم . فإن اهتديتم ، فهو حظكم وتوفيقكم ، وإن ضللتم ، فليس لنا من الأمر شيء . فقال أصحاب القرية لرسلهم : ^ (إنا تطيرنا بكم) ^ أي : لم نر على قدومكم علينا ، واتصالكم بنا ، إلا الشر . وهذا من أعجب العجائب ، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم ا بها على العبادة ، وأجل كرامة يكرمهم بها ، وضرورته إليها فوق كل ضرورة ، قد قدم بحالة شر ، زادت على الشر الذي هم عليه ، واستشأموا بها . ولكن الخذلان ، وعدم التوفيق ، يصنع بصاحبه أعظم مما يصنع به عدوه . ثم توعدوهم فقالوا : ^ (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) ^ أي : لنقتلنكم رجما بالحجارة ، أشنع القتلات ^ (وليمسنكم منا عذاب أليم) ^ . فقال لهم رسلهم : ^ (طائركم معكم) ^ وهو : ما معهم من الشرك والشر ، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة ، وارتفاع المحبوب والنعمة . ^ (أإن ذكرتم) ^ أي : بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم ، قلتم لنا ما قلتم . ^ (بل أنتم قوم مسرفون) ^ متجاوزون للحد ، متجرهمون في قولكم . فلم يزدهم دعاؤهم إلا نفورا واستكبارا . ^ (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) ^ حرصا على نصح قومه ، حين سمع ما دعت إليه الرسل ، وآمن به ، وعلم ما رد به قومه عليهم فقال : ^ (يا قوم اتبعوا المرسلين) ^ فأمرهم باتباعهم ، ونصحهم على ذلك ، وشهد لهم بالرسالة . ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه ، فقال : ^ (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) ^ أي : اتبعوا من نصحكم نصحا ، يعود عليكم بالخير ، وليس

يريد منكم أموالكم ، وأجرا على نصحه لكم ، وإرشاده إياكم ، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه . بقي أن يقال : فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة ، ولكنه ليس على الحق . فدفع هذا الاحتراز بقوله : ^ (وهم مهتدون) ^ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه ، ولا ينهون إلا عما يشهد العقل الصحيح بقبحه . فكأن قومه لم يقبلوا نصحه ، بل عادوا لائمين له ، على اتباع الرسل ، وإخلاص الدين وحده فقال : ^ (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) ^ أي : وما المانع لي ، من عبادة من هو المستحق للعبادة ؛ لأنه الذي فطرني ، وخلقني ورزقني ، وإليه مآل جميع الخلق ، فيجازيهم بأعمالهم . فالذي بيده الخلق والرزق ، والحكم بين العباد ، في الدنيا والآخرة ، هو الذي يستحق أن يعبد ، ويثنى عليه ويمجد ، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا ، ولا عطاء ولا منعا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا ولهذا قال : ^ (أأتخذ من دونه آلهة إن يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا) ^ لأنه لا أحد يشفع عند ا إلا بإذنه ، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا ^ (ولا ينقذون) ^ من الضر الذي أراده ا بي . ^ (إني إذا) ^ أي : إن عبدت آلهة هذا وصفها ^ (لفي ضلال مبين) ^ فجمع في هذا الكلام ، بين نصحهم ، والشهادة للرسل بالرسالة ، والاهتداء والإخبار بتعين عبادة ا وحده . وذكر الأدلة عليها ، وأن عبادة غيره باطلة ، وذكر البراهين عليها ، والإخبار بضلال من عبدها ، والإعلان بإيمانه جهرا ، مع خوفه الشديد من قتلهم فقال : ^ (إني آمنت بربكم فاسمعون) ^ فقتله قومه ، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به . ^ (قيل) ^ له في الحال ^ (ادخل الجنة ، قال) ^ مخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده ، وإخلاصه ، وناصحا لقومه بعد وفاته ، كما نصح لهم في حياته . ^ (يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي) ^ أي : بأي شيء غفر لي ، فأزال عني أنواع العقوبات . ^ (وجعلني من المكرمين) ^